ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

شذرات تربوية تعليمية من حياة بعض الخلفاء العباسيين ما بين 132-247هـ/750-861م

Educational educational fragments from the life of some Abbasid caliphs (132-247AH / 750-861AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: دة.عثماني أم الخير- Othmani Oum-El-Khir صص9- 30
الدرجة والعنوان المهني: أستاذة محاضرة أ في التاريخ الوسيط- جامعة الجيلالي بونعامة/خميس مليانة (الجزائر/البريد الإلكتروني: o.otmani@univ-dbkm.dz

تاريخ استقبال المقال:2020/03/15 تاريخ المراجعة: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/04/11

ملخّص: كثُر النّقد الموجّه إلى شخصية وسلوك الخلفاء العباسيّين وأولادهم بين التّمجيد تارة والفسق تارة أخرى، لكنّ المتفحّص للسّيرورة الإجتماعيّة لهؤلاء لا يقتضي دراسة حياتهم أو حُكْمهم دون التّعرّض لمسار تربيّتهم، ثمّ أيضا الأخذ بعين الإعتبار أنّهم بشر مثل غيرهم، قد يصيبون وقد يخطؤون، لكن لكلّ مقال كلام وأحكام؛ نظرا للعوامل التي تتفاعل لإظهار ذاك الواقع، كما تتدّخل فيها أيضا الأعراف والتّقاليد والعادات الإجتماعيّة؛ فهذه الدّراسة نحاول أن نوضّح من خلالها جوانب من موضوع تربية وتعليم أولاد الخلفاء العباسيّين، والعوامل المتحكّمة فيها، وكذا معرفة فاعليّتها في صناعة الرّجل الصّالح، والحقيقة أنّ جمع مادة هذا المقال كان صعبا جدًا لأنّها منثورة في عدّة مصادر من حقول معرفيّة متنوعة، ورغم ذلك تتّبعْت المعلومة فالمعلومة، والتقتطها على اختلاف مصادرها.

الكلمات المفتاحيّة: التّربيّة- أولاد الخلفاء- العباسيون- التّأديب- التمجيد- الفسق- التعليم.

Abstract: *There is a lot of criticism directed at the personality and behavior of the Abbasid caliphs and their children, between glorification at times, and debauchery at other times, but the examiner of the social process of these does not require the study of their lives or their rule without being subjected to the path of their education, then also taking into account that they are human beings like others, they may make mistakes, but each article has words and judgments, given the factors that interact to show that reality, as well as social norms, traditions and customs.*

This study attempts to clarify aspects of the subject of education and education of the children of the Abbasid caliphs, and the factors controlling them, as well as knowing their effectiveness in making a good man. Various fields of knowledge, and yet the information is followed, so the information is obtained from various sources.

Keywords: education- children of the Califs- Abbasids- discipline.

مقدمة: إن مطالعتنا لعديد الكتب التّراثيّة تُبيّن لنا وجود اهتمام خاص بالتّربيّة متعدّدة المناحي لأولاد الخلفاء العباسيّين تبعًا للعادات العربيّة المتوارثة وغيرها؛ فما هي العوامل المتحكّمة في تربيّتهم؟ وكيف تمّ تفعيلها؟ وما مدى اقتران التّربيّة بالتّعليم، ودور الأو لياء والمحيط في ذلك؟ وإلى أيّ مدى كوّنت الرّجل المطلوب وقتها للدّولة؟ هذه الأسئلة سنحأو ل إيجاد إجابات لها من خلال الإشارات المنثورة بين صفحات الكتب المختلفة التّراثيّة خاصّة، وغيرها مِن كتب التّراجم والتّاريخ العام.

أو لا- وصايا العلماء والخلفاء لمؤدّبي أولاد الخلفاء: كان لنصوص الوصايا المختلفة الموضوع إشاراتًا لموضوع التّربية والتّعليم نذكر منها الآتي:

1-1- الخلفاء العباسيون بين عاداتهم ونصائحهم: حرص الخلفاء على حفظ مآثرهم بالخُطَب والرّسائل التي حفظت لنا في طيّاتها بعضا من نصوص الاهتمام بالعلم والتّربيّة، وما يلحقه من آداب المتعلّم والمعلّم على حدّ سواء؛ فكان الخليفة أبو العباس السّفاح (132-136هـ/750-754م) راغبا في الخُطب والرّسائل، يصطنع أهلها ويُثيبهم عليها؛ فحفظت ألف رسالة وألف خطبة طلبًا للحظوة عنده، وكان أبو جعفر عبد الله المنصور (136-158هـ/754-755م) بعده مَعْنِيًّا بالأسمار والأخبار وأيّام العرب، يُدني أهلها، ويجيزهم عليها[1]؛ فكانوا يرحلون قبل خلافتهم إلى طلب العلم ليستزيدوا، ويفتخرون بنسبهم الهاشمي منه، وكان أبو جعفر يرحل في طلب العلم قبل الخلافة، وبينما هو يدخل منزلا من المنازل قبض عليه صاحب الرّصد؛ فقال: "زِنْ درهمين قبل أن تدخل"، قال: "خلّ عنّي؛ فإنّني رجل من بني هاشم"، قال: "زِنْ درهمين"؛ فقال: "خَلّ عنّي؛ فإنّي رجل قارئ لكتاب الله"، قال: "زِنْ درهمين"، قال: "خلّ عنّي؛ فإنّي رجل عالم بالفقه والفرائض"[2].

وكانوا يستضيفون طلبة العلم إلى منازلهم إكراما لهم حتّى ذكر فضْلَهم بعضهم، قال عبد الرّحمن بن أَنْعم الإفريقي(ت156هـ)[3]: "كنت أطلب العلم مع أبي جعفر المنصور قبل الخلافة؛ فأدخلني منزله؛ فقدّم إليّ طعاما لا لحم فيه، ثمّ قال: يا جارية، هل عندك حلواء؟ قالت: لا، قال: ولا التّمر؟[4]؛ فهذا يؤكّد زُهْد الخليفة وضيْفه، ويكشف عن التّواصل بين أهل إفريقيّة وأهل المشرق الإسلامي، كما يثبت كرم أخلاق الخلفاء

العباسيّين، وأنّ سعيهم لطلب العلم والرّحلة إليه دأبهم الأو ل، ثمّ إنّ علاقاتهم مع غيرهم من طلبة العلم كانت علاقة تواضع وتفَضُّل، وهذا ليس جديدا على أحفاد بني هاشم؛ فقيل: "مؤدّب نفسه ومعلّمها أحقّ بالإجلال من مؤدّب النّاس ومعلّمهم"[5].

2- 1- **الخلفاء العباسيون ونُصْح شيوخ أولادهم**: حرص الخلفاء على تعليم أولادهم بواسطة نخبة من العلماء، كُلٌّ حسب زمانه واهتمامه العلمي؛ فالرّشيد عهد بتعليم ابنه الأمين إلى الأحمر النّحوي(ت194ه)[6]، ثمّ الكِسائي(ت197ه)[7]، وعهد بتأديب المأمون إلى اليزيدي(ت165ه)[8]، وسيبُوَيْه(ت180ه[9]، ومن جميل ما ذكر تلك الوصيّة التي عهد بها الرّشيد التي جمعت بين الثّقافة والسّلوك إلى مؤدّب ولده الأمين ونصّها "يا أحمر، إنّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه وثمرة قلبه؛ فصيَّر يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة؛ فكُن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، إقْرِئْه القرآن، وعرِّفه الآثار، وروِّه الأشعار، وعلِّمه السّنّن، وبصِّرْه مواقع الكلام وبَدْئِه، وامنعه من الضّحك إلاّ في أوقاته، وخُذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورَفْع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه، ولا تمُرّنّ بك ساعة إلاّ وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إيّاها من غير أن تخرق به؛ فتُميتَ ذهنه، ولا تُمْعِن في مساحته؛ فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمْه ما استطعت بالقرب والملاينة؛ فإنْ أباهُما فعليك بالشّدّة والغِلْظة[10].

ولم تكتف فقط بمستوى التّعليم التّلقيني؛ بل تجأو زت إلى السّلوكي؛ إذ نصّت على مواطن الحديث وسلاسته؛ دليل على الرّغبة في تربية الولد ضمن الجماعة ليتعامل معها، ولعلّها كانت ليست من العرب فقط؛ بل كذلك من العجم وغيرهم ممّن كان في المجتمع العباسي، وهذا رأي أحد الباحثين: "قد أخذ الرّشيد من وصايا سابقيه أشياء، وزاد عليهم أشياء أخرى؛ فاتّفق مع عبد الملك بن مروان الأُموي في البدْء بتعلّم القرآن ورواية الشّعر والسِّيَّر، وزاد عليه الاهتمام بتعليم الولد مواقع الكلام وبدْئه وختامه[11].

3- 1- التّأثير الفارسي: تجلّى التّأثير الفارسي من مظاهر انتشار الثّقافة الفارسيّة جرّاء كثرة الوافد الأعجمي عامّة والفارسي خاصّة، وأيضا ترجمة الكتب، وبخاصّة في العصر العباسي الأول، وكذلك من بعض النّصائح التي تدخل في إطار تحضير وليّ العهد عند الفرس؛ فحدث الاقتباس بطرق شتّى؛ ففي نصيحة جارية أمّ ولد للملك تخصّ طريقة تربية ابنهما: (دون أن يذكر القفطي اسميهما) "فلمّا تجاوز حدّ الفطام قالت: "أيّها الملك

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

إنّه ينبغي لك أن تُحْضِر لولدك جليسا فاضلا، وترتاد له حكيما عالما عاملا ممّن غُذيّ بنعمتك، ونشأ في ظلّ درجتك؛ ليعرف من الصّغر، ويستغني لكثرة الخِبر بتفاصيل أحواله في كثير من الأو قات عن العَيان بالخبر؛ لتدوم به صحّته[12].

ويتّفق هذا مع ما أُثر عن الإمام علي بن أبي طالب في فضل العلم والأدب، وفضل العالم والمتعلّم: "من نصّب نفسه للنّاس إماما أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسريرته قبل تأديبه بلسانه"، وقيل: "مَنْ لم يتعلّم في صغره لم يتقدّم في كبره"[13]، وتضيف النّصيحة العمَليّة: "فإذا بلغ سنّ التّعليم، واحتاج التّبصير والتّفهيم وجب أن تلتمس له جليسا صالحا ورعًا، متفنّنا في العلوم متوسّعًا؛ فيكون ذلك طبيبا لجسمه، وهذا طبيبا لنفسه، وذاك عناية بتدبير أحوال بدنه، وهذا همّته في تنوير قلبه؛ للاهتداء في التّرّقي إلى محلّ قدسه، وينبغي أن تتقدّم إليه بطاعة كلّ منهما، وتوفير حظّه من الإكرام، وأن يخصّ بالزّيادة من ذلك جليسه؛ لفضل طبّ النّفوس على طبّ الأجسام[14].

وتأمر جليسه بأن يجعل له وقتا مخصوصا لتعليمه، وقدرا من الزّمان معينا لتأديبه وتقويمه، وأن لا يشغل زمانه كلّه بفنون الجدّ، ولا يحمل على قريحته ما لا تطيقه، فيهضها بكثرة الكدّ؛ فإنّ القلوب إذا أُكْرِهت عَمِيّت، والقرائح إذا لم تُرَوَّح تبلّدت وفسدت، والملك لَإِذْ لم يكن له حظّ من العلوم كان ناقصا في نفوس رعيّته، ولم يكن للآداب والفضائل عنده سوق لفقدان أهليّته، ومن سعادة جدّ الملك أن يكون له وزير صالح، ومشير ناصح، وجليس مُعاد له بالحكمة مراوح، وطبيب لأدواء جسمه ناصح؛ لِأَنْ يُؤَهَّلَ بعده للاستخلاف، واستحقّ ولاية العهد بما ارتفع في فضله من الخلاف[15].

وكان تكوين حاكم المستقبل مشروعًا منذ الصّغر بإكسابه ثقافة متنوّعة "قائلا لها: "إنّي أريد أن أجعله لأقوال العلماء مطالعا، ولهم في أخلاقهم وآدابهم متابعا؛ فما الذّي ينبغي أن يُقتصر به من ذلك عليه، ويلزم الاشتغال به لتكون همّته مصروفة إليه؟"[16]، فقالت: "إنّه قد أخذ بحمد الله من علوم الدّين بالحظّ الأوفر، واهتدى بأنوار هذا فبصر بعدما استبصر، والإكثار ربّما أملّ وأضجر، والعلم أكثر من أن يُحصى؛ فخُذْه منه بأحسن ما يُروى ويُؤْثر، وقد أَهَّلْتَه لأمر؛ فينبغي أن يكون شَغله في هذا الوقت بما ينتفع به فيه، وإلزامه يخفّ ما هو مفتقر إلى العمل به في وقت تولّيه[17].

4-1- نصائح العلماء والفقهاء: لم تقتصر النّصيحة على وصايا الخلفاء لمؤدّبي أولاد هم؛ بل تعدّت لتشمل نصائح العلماء والفقهاء؛ ففي سنة 204هـ/820م دخل الإمام الشّافعي أبو عبد الله محمّد بن إدريس(204-150هـ/767-820م) يوما إلى بعض حُجَر الرّشيد؛ فأقعده الخادم عند أبي عبد الصّمد مؤدّب الأولاد قال له: "يا أبا عبد الله، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين، وهذا مؤدّبهم؛ فلو أوصَيْتَه"؛ فقال له: "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك؛ فإنّ أعينهم مغفورة بعينك؛ فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تستقبحه، علِّمهم كتاب الله، ولا تُكْرههم عليه فيملّوه، ولا تتركهم فيهجروه، ثمّ زدهم من الشّعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنّهم من علم إلى غيره حتّى يتقنوه؛ فإنّ ازدحام الكلام في المسْمَعِ مصَدٌّ للفهم[18].

وفي ذلك تأكيد لدور المؤدّبين والشّيوخ عموما في ترسيخ العلوم وتربية النّشء، مع اتّباع طرق لإيصال الفهم، وذلك ما يؤكّده ابن الجوزي(ت751هـ) في نصيحة لولده، مؤكّدًا دور أحد شيوخه في تحضيره للمرحلة التّعلميّة المواليّة: "وأنا لا أعلم ما يُراد منّي، وضَبَط لي مسموعاتي إلى أن بلغتُ، فناولني ثبْتَها، ولازمْتُه إلى أن توفيّ- رحمه الله-؛ فنلْتُ بها معرفة الحديث والنّقل"[19].

ثانيًا- مراقبة الخلفاء لسلوكات أولادهم: لم يهمل الخلفاء العباسيون رغم تعدّد مهامّهم متابعة أولادهم بصفتهم آباء لهم، ومن ذلك ما يلي:

1-2- الخلفاء العباسيون الأوائل: لكلّ خليفة عباسي بصمته تتجلّى فيما نذكره:

أ- في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور: حفظت لنا كتب التّاريخ بعضا من اهتمام الخلفاء الأوائل بمجال السّلوكيّات؛ فكان المنصور ممّن يراقبون محيط أولادهم داخل القصور، إذ سمع جَلَبة في داره فقال: "ما هذا؟"؛ فإذا خادم له قد جلس، وغلمة حوله، وهو يضرب لهم بطنبور، وهم يضحكون منه؛ فأُخْبر بذلك، فقال: "وما الطّنبور؟"؛ فوصفه له حمّاد التّركي، فقال له: "وأنت فما يدريك ما الطّنبور؟" قال: "رأيتُه بخراسان"؛ فقال: نعم؛ فدعا بنعله، وقام يمشي رويدًا، حتّى أشرف على الغلمان فرآهم؛ فلمّا أبصروه تفرّقوا؛ فقال: "خذوا الخادم فاكْسِروا ما معه على رأسه"، ثمّ قال: يا ربيع، أخْرِجْه من قصري، وابعث به إلى حمران النّخّاس حتّى يبيعه"؛ فوجّه الرّبيع من ساعته، فبيع بالكرْخ[20].

وتتّبعوا سلوكيّات أولادهم بمعرفة من يجالسون وأخّلاّءهم؛ فهذا الخليفة المنصور كان مطيع بن إيّاس[21] منقطعا إلي ابنه جعفر؛ فدخل أبوه المنصور عليه يوما؛ فقال لمطيع: "قد أفسَدْتَ ابني يا مطيع"؛ فقال له مطيع: "إنّما نحن رعيّتك؛ فإذا أمرتنا بشيئ فعلْنا"[22]، وقيل: بأنّه رُفِع خبر إلى المنصور أنّ مطيع بن إيّاس زنديق، وأنّه يعاشر ابنه جعفرا وجماعة من أهل بيته، ويوشك أن يُفْسدوا أديانهم، وينسبوا إلى مذهبه؛ فقال له المهدي: "أنا به عارف، أمّا الزّندقة فليس من أهلها، ولكنّه خبيث الدّين، فاسق مستحلّ للمحارم"، قال: "فأحضره، وانْهه عن صحبة جعفر وسائر أهله"؛ فأحضره المهدي وقال له: "يا خبيث، يا فاسق، قد أفسدتَ أخي ومن تصحَبه من أهلي"...، قال الرّبيع للمهدي عن مطيع: "اضربه مائتي سوط، وأحبسه"[23]... قال: "لأنّك سكّير خمّير، قد أفسدتَ أهلي كلّهم بصحبتك"[24].

ب- في عهد الخليفة المهدي أبي عبد الله محمّد بن المنصور(158-169هـ/755-786م):

اختار الخلفاء ندماءهم؛ فكان أحدهم إبراهيم الموصلي[25]، قال: أو ل خليفة سمعني المهدي...، كان المهدي لا يشرب؛ فأرادني على ملازمته وترْك الشّرب؛ فأبيْتُ عليه، وكنت أغيب عنه الأيّام؛ فإذا جئتُه منتشيًا، فغاظه ذلك منّي؛ فضربني وحبسني؛ فحذِقْتُ القراءة والكتابة في الحبس، ثمّ دعاني يوما؛ فعاتبني على شربي في منازل النّاس والتّبذّل معهم؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّما تعلّمت هذه الصّناعة للّذتي وعشرتي لإخواني، ولو أمكنّني تركها لتَرَكْتُها وجميع ما أنا فيه لله عزّ وجلّ؛ فغضب غضبا شديدا"، وقال: "لا تدخل على موسى وهارون البتّة؛ فوالله لئن دخلْتَ عليهما لأفعلن ولأصنعن"؛ فقلت: نعم[26]، ثمّ بلغه أنّي دخلت عليهما، وشربت معهما، وكانا مستهترين بالنّبيذ؛ فضربني ثلاثمائة سوط، وقيّدني وحبسني"[27]، قال: ثمّ أخرجني المهدي، وأحلفني بالطّلاق والعِتاق وكلّ يمين لا فُسحة لي فيها ألاّ أدخل على ابنيه موسى وهارون أبدًا، ولا أغنّيهما، وخلّى سبيلي[28].

ولا نستبعد هذا السّلوك على الخليفة المهدي لأنّه نشأ على مثله، حيث قال والده له: "يا أبا عبد الله، لا تجلس مجلسا إلاّ ومعك من أهل العلم من يحدّثك حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ محمّد بن شهاب الزُّهري قال: "الحديث ذِكْرٌ لا يحبّه إلاّ ذكور الرّجال، ولا يبغضه إلاّ مؤنثوهم"[29]، وكان الوزير يعقوب بن داوود[30] يعظه في

تعاطيه شرب النّبيذ بين يديه وكثرة الغناء، ويلومه على ذلك، ويقول: "ما على هذا استوزرتني، ولا على هذا صحبْتُك، أبَعْدَ الصّلوات الخمس في المسجد الحرام يُشْرب عندك النّبيذ، ويُسْمَع السُّمّاع بين يديك"[31]، وهذا تأكيد كبير على حسن انتقاء الخليفة للوزراء؛ "فأول ما يظهر نُبْل السّلطان، وقوّة تميّزه، وجوْدة عقله في انتخاب الوزراء، واستنقاء الجلساء، ومحادثة العقلاء؛ فهذه خلال تدلُّك على كماله، وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذِكره، وترسّخ في النّفوس عظمته، والمرء موسوم بقرينه، وكان يقال: "حِلْية الملوك وزينتهم وزراؤهم"، "لا يصْلُح السّلطان إلاّ بالوزراء والأعوان"[32].

وقيل: كان يعقوب قد عرَف أخلاق المهدي، ونهمتَه في النّساء؛ فكان يباسطه[33]، وعن يعقوب الوزير قال: "كان المهدي لا يحبّ النّبيذ، لكنّه يتفرّج على غلمانه فيه فألُومُه، وأقول: "على ماذا استوزرتني؟ أبعد الصّلوات في الجامع يُشرب عندك، وتُسْمع السُّمّاع"؟ فيقول: "قد سمعه عبد الله بن جعفر"؛ فأقول: "ليس ذا من حسناته"، ولمّا عزله المهدي عزل أصحابه، وسجن عدّة من آله وغلمانه وأعوانه[34]، وأضاف الأبشيهي(ت850هـ): "واعلم أنّه ليس للوزير أن يكتم عن السّلطان نصيحة وإنْ استقلّها، وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرّأس، وكما أنّ المرآة لا تريك وجهها إلاّ بصفاء جوهرها وجودة صقْلِها، ونقائها من الصّدإ، كذلك السّلطان لا يكمل أمره إلاّ بجودة عقل الوزير، وصحّة فهمه، ونقاء قلبه[35].

وقال بزرجمهر الفارسي: "إذا خدَمْتَ ملكا من الملوك فلا تُطِعْه في معصية خالقك؛ فإنّ إحسانه إليك فوق إحسان الملك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه"، وقالوا: "عَلِّم السّلطان وكأنّك تتعلّم منه، وأشِر عليه وكأنّك تستشيره، وإذا أحلّك السّلطان من نفسه بحيث يسمَع منك، ويثق بك؛ فإيّاك والدّخول بينه وبين بطانته؛ فإنّك لا تدري متى يتغيّر منك فيكونوا عوْنًا عليك، وإيّاك أن تُعادي مَنْ إذا شاء أنْ يطرح ثيابه، ويدخل مع الملك في ثيابه فعل"[36]، وهو نفسه الذي ذكره القِفطي(ت 646هـ) في ضرورة اعتماد الكُفاة: "إنّما يجب على الملك أن يعتمد من ولاّته على كُفاته ومن جُباته على ثُقاته، ومن قضاته على هُداته، ومن وزرائه على من يقترن الصّواب بآرائه"[37].

وكان للخليفة المهدي عند قدومه مدينة رسول الله أن بعث إلى الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله(93-179هـ/711-795م) فأتاه؛ فقال لهارون وموسى: "اسمعا منه؛

فبعث إليه فلم يُجبهما؛ فأعلما المهدي؛ فكلّمه فقال: "يا أمير المؤمنين، العلم يُؤْتى أهله"؛ فقال: "صدق مالك، صِيرَا إليه"، فلمّا صرَا إليه قال له مؤدّبهما: "اقرأ علينا؛ فقال: "إنّ أهل المدينة يقرؤون على العالم كما يقرأ الصّبيان على المعلّم؛ فإذا أخطأوا أفتاهم"؛ فرجعوا إلى المهدي؛ فبعث إلى مالك فكلّمه؛ فقال: "سمعت ابن هشام يقول: "جمعنا هذا العلم في الرّوضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: "سعيد بن المُسَيَب"... كلّ هؤلاء يُقرأ عليهم ولا تقرؤون"؛ فقال: "في هؤلاء قدوة، صيروا إليه فاقرؤوا عليه؛ ففعلوا[38].

ت- في عهد الخليفة هارون الرّشيد أبي جعفر(170-193هـ/787-809م) **ومن بعده:** استمرّت التّربيّة والتّأديب في عهد خلَف المهدي؛ إذ قال الحسين بن الضّحّاك[39]: "ضربني الرّشيد في خلافته لصحبتي ولده، ثمّ ضربني الأمين لمايلة ابنه عبد الله، ثمّ ضربني المأمون لميلي إلى محمّد، ثمّ ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العباس بن المأمون، ثمّ ضربني الواثق لشيئ بلغه من ذهابي إلى المتوكل "[40]، وهناك محاولات من بعض العجم لتعليم أولاد الخلفاء سلوكيّاتًا ملوكيّة تتنافى والفطرة؛ فذُكر لنا أنّ إيتاخ[41] بصر بالواثق في حياة المعتصم واقفا موضعًا لم يكن له أن يقف فيه؛ فزجَره وقال: "تَنَحَّ، فوالله لولا إنّي لم أتقدّم إليك في ذلك لضربتُك مائة عصا[42].

ثالثا- أساليب التّعليم، ومواده: تعدّدت نذكر منها:

1- 3 المناظرات: تنوعّت أساليب التّعلّم، وخصّت اللّغة العربيّة وعلومها حفاظا عليها أمام لغة الفرس التي كانت تفرض نفسها، بخاصّة من دعاة الشّعوبيّة؛ فالمناظرات[43] أهّم طرق التّعليم لإشاعة العربيّة محلّ الفارسيّة، "ناظر فارسي عربيا بين يدي يحي بن خالد[44]؛ فقال الفارسي: "ما احتجنا إليكم ولا لغتكم، حتّى أنّ طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم، وما فيها على ما سمّينا ما غيرتموه كالإسفيداج والسّكباج والدّوغباج وأمثاله كثيرة كالسنكنجبين والجلاّب وأمثالها كثيرة، وكالروزنامج والإسكدار والفراونك، وإنْ كان روميًا ومثله كثير؛ فسكت عنه العربي؛ فقال له يحي بن خالد: قل له: "اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلنا، لا نحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم"[45].

وفي ذلك أكثر من فائدة؛ إذ أنّ الاهتمام ببلاغة الإقناع بالمناظرة حُكْمه كذلك الوعي الجاد بمسيس الحاجة إلى ثقافة الحوار التي تشكّل البديل الإنساني عن العنف

والتّطرّف؛ ذلك أنّ الإقناع يمثّل الجواب الحضاري عن الإختلاف[46]، هدف المناظرة الكشف عن الحقيقة أو الصّواب، وهدف الجدل التّغلّب عن الخصم؛ فالمناظرة التي سادت في التّراث العربي الإسلامي هي تلك التي تقرّ الإختلاف، وتقوم على التّفاعل بين المتناظرين لخدمة ما يُعْتقد أنّه الصّواب، ومن ثَمَّ فهي فعّالة منتجة ومُطَوِّرة للمعرفة[47].

وسُئل الإمام الشّافعي: "مَنْ أقدر الفقهاء على المناظرة؟"، قال: "مَنْ عَوَّد لسانه الرّكض في ميدان الألفاظ لم يتلعثم إذا رمقته العيون"[48]، وقيل لحكيم: "بِمَ يُعْرف عقل الرّجل؟ فقال: "بقلّة سَقَطِه في الكلام، وكثرة إصابته فيه"؛ فقيل له: "فإنْ كان غائبًا؟"؛ فقال: "بإحدى ثلاثٍ: إمّا برسوله وإمّا بكتابه وإمّا بهديّته؛ فإنّ رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه يصف نُطق لسانه، وهديّته عنوان همّته؛ فبقدر ما يكون فيها من نقص يُحْكَم به على صاحبها"، وقيل: "العقل مَلِك، والخصال رعيّة؛ فإذا ضَعف عن القيّام عليها وصل الخلّل إليها"[49].

وبما أنّ تلك المناظرات كانت تقام في قصور الخلفاء، كانت لها أدابًا استفاد منها أولاد الخلفاء، هي أنّه يقتضي للمناظر أن يحترز عن الإيجاز وعن الإطناب، وعن استعمال الألفاظ الغريبة، وعن اللّفظ المجمل، ولا بأس بالاستفسار، وعن الدَّخْل قبل الفهم، ولا بأس بالإعادة، وعن التّعرّض لِما لا دخل له في المقصود، وعن الضّحك، ورفْع الصّوت وأمثالهما، وعن المناظرة مع أهل المهابة والاحترام، وألاّ يحسب الخصم حقيرًا[50].

2- 3- المجالس: هي تسجيل لما كان يحدث في مجالس العلماء، وفيها يُلقي الشّيخ ما يشاء من تلقاء نفسه؛ فيُسْأل الشّيخ فيجيب؛ فيُدوّن كلّ ذلك فيما يسمّى مجلسًا، أمّا الأمالي فيُمليها الشّيخ أو من ينيبه عنه بحضرته؛ فيقيّدها الطّلاّب في دفاترهم؛ فكلّ من المجالس والأمالي مظهرًا لما كان يدور من تدوين لأقوال العلماء والمتصدّرين للتّعليم، وينصبّ الكلام المنطوق على المتحاورين؛ بينما يكون محور الاهتمام الكتابة هو الموضوع نفسه؛ فاللّغة من أكثر الإشارات أهميّة إلى العلاقة بين الفرد، وهويّته والجماعة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها؛ فالتّماثل أو عدَمِه بين الفرد ولغته إنّما يتجلّى في سلوكه، وينعكس على حياته بشكل واضح؛ ذلك أنّ اللّغة جزء من تركيبنا العضوي[51].

والملاحظ أنّ الخلفاء جلسوا في المجالس منذ وقت مبكّر؛ فهذا الخليفة المهدي لمّا شبّ أمّره أبوه على طبرستان وما والاها، وتأدّب وجالس العلماء وتميّز[52]، واهتمّت

مجالس العلماء بالعربيّة تحديدا؛ فبرع شيوخ في تعليمها وإحيائها؛ إذ اجتمع الكسائي مع شيوخ فقال: "من تبحّر في علم النّحو اهتدى إلى سائر العلوم"، وتعلّم النّحو على كِبَر سنّه، واشتغل بالنّحو حتّى مَهَرَ، وصار إمام وقته، وكان يؤدّب الأمين والمأمون، وصارت له اليد العظمى والوجاهة التّامّة عند الرّشيد وولديه[53].

كما تعلّموا من الأمثال إذ ذكر العسكري(ت395هـ) في مقدّمة كتابه: "ثمّ إنّي ما رأيت حاجة الشّريف إلى شيء من أدب اللّسان بعد سلامته من اللّحن كحاجته إلى الشّاهد والمثل والشّذْرة، والكلمة السّائرة؛ فإنّ ذلك يزيد المنطق تفخيما، ويُكسبه قبولا، ويجعل له قدْرًا في النّفوس، وحلاوة في الصّدور، ويدعو القلوب إلى وعيّه...، وتدخل في جلّ أساليب القول أرجوْها في أقواها من الألفاظ...؛ فهي من أجلّ الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله؛ لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلّم مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها، ومن عجائب أنّها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب والأمثال أيضا نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التّصرّف فيه إلاّ من اجتهد في طلبه حتّى أحكمه، وبالغ في التماسه حتّى أتقنه..."[54].

وذُكر مجلس للكسائي مع القاضي أبي يوسف[55] نقلا عن الأحمر قال: "دخل أبو يوسف الفقيه على الرّشيد وعنده الكسائي يحدّثه؛ فقال: "يا أمير المؤمنين، قد سعِد بك هذا الكوفي وشغَلك"؛ فقال الرّشيد: "النّحو يستفرغني، أستدلّ به على القرآن والشّعر"[56]، ووجّه لتعليم أولاد الخلفاء بالفصاحة، وأسند عن إسماعيل بن اليزيدي، قال: كان أبي يكلّم الأمين والمأمون بكلام يتفصّحان به"، ويقول: "كان أولاد الخلفاء من بني أميّة يُخْرِج بهم إلى البدو حتّى يتفصّحوا، وأنتم أولى بالفصاحة منهم"[57] لدمجهم في الحياة العامّة؛ لأنّ الكلمات التي ينطق بها النّاس تشير إلى خبرة مشتركة، وتُستخدم في شرح وقائع أو أفكار قابلة للنّقل؛ لأنّها تشير إلى مخزون من المعرفة بهذا العالم يشترك فيه آخرون، وتعكس أيضا مواقف كتّابها ومعتقداتها ووُجهات نظرهم التي يشاركهم فيها آخرون تضطلع اللّغة في الحالتين بالتّعبير عن واقع ثقافي[58].

اتّصل اليزيدي(ت165هـ) بالرّشيد فجعل ولده في حِجْره؛ فكان يؤدّبه، وكان ثقة، وهو أحد القرّاء الفصحاء العالمين بلغات العرب والنّحو...، وكان يجلس في أيّام الرّشيد

مع الكسائي في مجلس واحد، ويُقْرِآن النّاس"، وكان الكسائي يؤدّب الأمين وهو يؤدّب المأمون؛ فأمّا الأمين؛ فإنّ أباه أمر الكسائي أن يأخذ عليه بحرف حمزة، وأمّا المأمون فإنّ أباه أمر أبا محمّد أن يأخذ عليه بحرف أبي عمرو[59]، وفي هذا التّعلّم تحضيرهما لإجماع الرّعيّة فيما بعد رغم تعدّد أحرف القراءة.

والتّعلّم في الصّغر له أكثر من دلالة، ذكر الأبشيهي في ذِكر الفصحاء من الرّجال: "لمّا أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود؛ فإذا فيهم وفد الحجاز؛ فنظر إلى صبي صغير السّنّ، وقد أراد أن يتكلّم؛ فقال: "ليتكلّمْ مَنْ هو أسّن منك؛ فإنّه أحقّ بالكلام منك"؛ فقال: "يا أمير المؤمنين، لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحقّ به منك"، قال: "صدقتَ؛ فتكَلّم"[60].

وبلغ من اهتمام الكسائي بتعلّم النّحو أنْ كان إماما في النّحو، وكان يؤدّب الأمين بن هارون، ويعلّمه الأدب...، أن اجتمع الكسائي يوما بمحمّد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرّشيد؛ فقال للكسائي: "من تبحّر في علم النّحو تهدَّى إلى جميع العلوم"؛ فقال له محمّد: "ما تقول فيمن سهَا في سجود السّهو؛ هل يسجد مرّة أخرى؟ قال الكسائي: "لا، قال: لماذا؟ قال: "لأنّ النّحاة تقول: "التّصغير لا يُصَغَّر"[61]، أمّا المأمون فقرأ العلم في صغره، وسمع الحديث من أبيه، وأدّبه اليزيدي، وجمع الفقهاء من الآفاق، وبرع في الفقه والعربيّة وأيّام النّاس، ولمّا كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها؛ فجرّه ذلك إلى القول بخلْق القرآن، ولم يلِ الخلافة من بني العبّاس أعلم منه، وكان فصيحا مفوّها[62].

في حين كان هناك اهتمام بتعليم البنات، وقيل: "لا تعلّموا بناتكم الكتاب، ولا تروهنّ الشّعر، وعلّموهنّ القرآن، ومن القرآن سورة النّور [63]، بينما نجد في المصادر الإسلاميّة ذِكْرا لما بلغته عُلَيَّة[64] أخت الرشيد في تعلّم الغناء، كما كان عمّها إبراهيم بن المهدي بن محمّد المنصور العبّاسي الأسْود، ولذلك كان، ولضخامته يقال له: "التّنين" وابن شَكْله، وهي أمّه، وكان أديبا فصيحا، شاعرا، رأسا في معرفة الغناء وأنواعه[65].

أمّا المتوكل على الله جعفر (232-247هـ/847-861م) فإنّه ندب يعقوب بن السّكيت[66] الإمام في العربيّة إلى تعليم أولاده[67]، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتزّ بالله[68]؛ فلمّا جلس عنده قال له: "بأيّ شيء يحبّ الأمير أن نبدأ- يريد من العلوم-"؛

فقال المعتزّ: "بالإنصراف"، قال يعقوب: "فأقُومُ"، قال المعتزّ: "فأنا أكفّ نهوضا منك؛ فاستعجل؛ فعثر بسراويله فسقط، والتفت إلى يعقوب حجلاً، وقد احمرّ وجهه؛ فأنشد يقول: "يُصَابُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ، ولَيْسَ يُصَابُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ"؛ فلمّا كان من الغد دخل يعقوب على المتوكل؛ فأخبره بما جرى؛ فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: "قد بلغني البيتان"[69]، وكلّ ما سبق يثبت دور التّجربة في تعليم الخلفاء وأولادهم؛ ففضلا عن العقل الغريزي المشترك بين العقلاء؛ فالعقل التّجريبي، وهو مكتسب، وتحصل زيادته بكثرة التّجارب والوقائع، وباعتبار هذه الحالة يُقال: "إنّ الشّيخ أكمل عقلا وأتمّ دراية، وإنّ صاحب التّجارب أكثر فهما وأرجح معرفة"[70].

رابعا- **أمثلة لمجالس العلم:** لخّص الحسن بن سهل[71]جملة الآداب في قوله: "الآداب عشرة: فثلاثة منها شهرجانيّة، وثلاثة أنوشروانيّة، وثلاثة عربيّة، وواحدة أبْرَت عليهنّ؛ فأمّا الشّهرجانيّة فالضّرب على العود، واللّعب بالشّطرنج، واللّعب بالصّوالج، وأمّا الأنوشروانيّة فالطّبّ والهندسة والفروسيّة، وأمّا العربيّة فالشّعر والنّسب في أيّام العرب، وأمّا الواحدة التي أبْرت عليهنّ، فمقطّعات الحديث والسّيّر، وما يتذاكره النّاس بينهم في المجالس"[72]، ومن أشهر المجالس نذكر:

مجلس سيبُوَيْه مع الكسائي وأصحابه بحضرة الرّشيد: قال الفرّاء(ت207هـ)[73]: قدم سيبُوَيه على البرامكة، فعزم يحي على الجمع بينه وبين الكسائي؛ فجعل لذلك يوما...، قال: فحضر الكسائيُ، فأقبل على سيبويه؛ فقال: "تسألني أو أسألك؟ فقال: لا بل سلني أنت...؛ فقال له: ما تقول أو كيف تقول: قد كنت أظنُ أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزُنبور؛ فإذا هو هي أو فإذا هو إيّاها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النّصب؛ فقال له الكسائي: لَحَنْتَ"، ثمّ سأله عن مسائل من هذا النّوع: خرجتُ، فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ؟، فقال سيبويه: في كلّ ذلك بالرّفع دون النّصب، فقال الكسائي: "ليس هذا من كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كلّه، وتنصب..."؛ فقال يحي بن خالد: "قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما؛ فمن ذا يحكم بينكما؟" فقال الكسائي: "هذه العرب ببابك، قد جمعتَهم من كلّ أوب، ووفدتْ عليك من كلّ صُقع، وهم فصحاء النّاس، وقد

قنِع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة، وأهل البصرة منهم فيحضرون ويُسألون"؛ فقال يحي وجعفر: "لقد أنصفت"؛ وأمر بإحضارهم فدخلوا؛ فسُئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه؛ فتابعوا الكسائي، وقالوا بقوله[74].

وذهب بعض الباحثين إلى اعتماد لغة الأعراب فيصلا في قضايا الخلاف النّحوي، وأنّ هذه الخلافات أثرّت اللّغة العربيّة، وكان الخلفاء العباسيون رعاة هذه المجالس، وتجري المناظرات بحضورهم، واشتهرت حادثة هامّة في مسألة الخلاف النّحوي بين شيخ المدرسة الكوفيّة في النّحو الكسائي، وبين شيخ المدرسة البصريّة في النّحو سيبويه بحضرة الرّشيد[75]، وهناك مجالس تخصّ تعليم العربيّة والنّص القرآني منها:

مجلس علي بن حمزة الكسائي مع المفضّل بحضرة الرّشيد: قال: جاءني رسول الرّشيد يوم الخميس بَكَرًا، فقال لي: أجبْ، فدخلت عليه، ومحمّد عن يمينه، والمأمون عن يساره، والكسائي بين يديه باركا، وهو يطارح محمّدا والمأمون معاني القرآن؛ فسلّمت؛ فردّ وقال: اجلس؛ فجلست؛ فقال لي: "كم اسم في سيكفيكهم الله؟" قلت: "ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين"...؛ فقال: كذا أخبرنا الشّيخ، وأشار بيده إلى الكسائي، والتفت إلى محمّد؛ فقال له: "أفَهِمْتَ؟"؛ فقال: "قد فهمتُ يا أمير المؤمنين"، قال: "فاردُد ذلك عليّ"، فردّه، فقال: "أحسنتَ"[76]، وكان للمجالس فوائدًا أخرى كتعليم أولاد الخلفاء التّواضع بصفته ممارسة وليس كلاما.

ولفحوى هذه المجالس في حضور أولاد الخلفاء أكثر من نفع؛ فقد ذكر أحد الكتّاب في تقديمه نفع ذلك: "فإنّ ألطف الكلام موقعا، وأشرفه موضعا كلمة حكمة يقتدي بها الإنسان بسناها؛ فيهتدي، ويتبع هداها فيرتدع، ومَثَل سائر يُغْني بإيراده في المحافل عن ألفاظ يؤلّفها، ومعان يتكلّفها، وينزل صاحبه من العلم فوق منزلته، ويرتّب من الأدب في أعلى مرتبته، وقديما قيل: "يكفيك من الآداب أن تروي الشّاهد والمثل"[77].

وفي ذكر لأخبار الكسائي أنّه قدم بغداد؛ فضمّه الرّشيد إلى ولديه المأمون والأمين، أشرف الرّشيد على الكسائي، وهو لا يراه؛ فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها؛ فابتدرها الأمين والمأمون، فوضعاها بين يديه؛ فقبّل رأسيهما وأيديهما، ثمّ أقسم عليهما ألاّ يعاودا؛ فلمّا جلس الرّشيد مجلسه قال: "أيُّ النّاس أكرم خادما"؟ قالوا: أمير المؤمنين- أعزّه الله- قال: "بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون"، وحدّثهم الحديث[78].

كما ذُكر عن محمّد بن عمران الضّبي النّحوي الكوفي (ت255هـ/869م) مؤدّب عبد الله بن المعتزّ، وكان على اختيار القضاة للمعتزّ، فاجتمع إليه القضاة والفقهاء، وكان الضّبي قبل ذلك معلّما فنعس، ثمّ رفع رأسه؛ فقال: "تهجَوْا"...، وكان شيخا طوّالا يحفظ حديثا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان يحفظ الأخبار والمُلَح، وقيل: بأنّه حكى أنّه حفّظ ابن المعتزّ، وهو يؤدّبه النّازعات، وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين أبوك، في أيّ شيء أنت؟ فقل: أنا في السّورة التي تلي "عبس"، ولا تقل: أنا في "النّازعات"؛ فسأله أبوه: "في أيّ شيء أنت؟"، فقال: "أنا في السّورة التي تلى عبس"؛ فقال له: "مَنْ علَّمَكَ هذا؟" قال: "مؤدّبي"؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم[79]، وفي ذلك تدريبهم على نطق الكلمة التي تعلّمهم وحدة الصّف.

رابعا- الخلفاء ومعاملة مؤدّبيهم: اتّخذ الخلفاء عدّة أساليب لجذب الشّيوخ لتعليم وتأديب أولادهم؛ فرُويّ أنّ شَريكا[80] دخل على المهدي فقال له: "لا بدّ من ثلاث، إمّا أن تلي القضاء أو تؤدّب ولديّ وتحدّثهم، أو تأكل عندي أكلة"؛ ففكّر ساعة، ثمّ قال: "الأكلة أخفّ عليّ"؛ فأمر المهدي بعمل ألوان من المخّ المعقود بالسّكر وغير ذلك فأكل؛ فقال الطّباخ: "لا يفلح بعدها"، قال: "فحدّثهم بعد ذلك، وعلّمهم العلم، وولي القضاء لهم"[81]، وعن حمدان بن الأصبهاني قال: "كنت عند شَريك؛ فأتاه بعض ولد المهدي فاستند؛ فسأله عن حديث؛ فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثمّ أعاد فعاد بمثل ذلك، فقال: "كأنّك تستخفّ بأولاد الخليفة"، قال: "لا، ولكنّ العلم أزْين على أهله من أن تُضيّعوه"، قال: فجثا على ركبتيه، ثمّ سأله؛ فقال شريك: "هكذا يُطلب العلم"[82].

قدم المهدي إلى المدينة فبعث إلى الإمام مالك فأتاه؛ فقال لهارون وموسى: اسمعا منه؛ فبعث إليه فلم يُجبهما؛ فأعلما المهدي؛ فقال: "يا أمير المؤمنين؛ العلم يؤتى أهله"؛ فقال: "صدق مالك، صِيرَا إليه"؛ فلمّا صرَا إليه قال له مؤدّبهما: "اقرأ علينا"؛ فقال: "إنّ أهل المدينة يقرؤون على صالح كما يقرأ الصّبيان على المعلّم؛ فإذا أخطأوا أفتاهم"[83]؛ فالإمام مالك بن أنس قصده طلبة العلم من الأفاق في آخر دولة أبي جعفر وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرّشيد إلى أن مات[84]، وبعث المهدي الى مالك بألفي دينار أو قال بثلاثة آلاف دينار، ثمّ أتاه الرّبيع بعد ذلك؛ فقال: "إنّ أمير المؤمنين يحبّ أن تعادله إلى مدينة السّلام"؛ فقال: قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم "المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَو

كَانُوا يَعْلَمُونَ"، والمال عندي على حاله"[85]، كما قيل إنّ القاضي الفاضل في بعض رسائله قال: "ما أعلم أنّ لملك رحلة قطّ في طلب العلم إلاّ للرّشيد؛ فإنّه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله"[86].

وبلغ من تواضع الخليفة الرّشيد أنْ قال أبو معاوية الضّرير(ت194هـ)[87]: "أكلت مع الرّشيد يوما، ثمّ صبّ على يدي رجل لا أعرفه، ثمّ قال الرّشيد: تدري من يصبّ عليك؟ قلت: لا، قال: أنا؛ إجلالا للعلم[88]، وكان الرّشيد حريصا على تعليم أولاده لدرجة أنّه طلب من أبي علي محمّد بن المستنير قُطْرُب، ويقال: إنّه إنّما سمّي قُطْرُبًا لقول سيبويه، وكان يخرج بالأسحار فيجده على بابه حريصا على التّعلّم: إنّما أنت قُطْرُب ليل[89]، وهو مولى سَلْمِ بن زياد، وأخذ النّحو عن سيبُويه، وله كتاب في القرآن، حسن كثير الفوائد، وله كتاب في النّحو يُلَقّب بـ"الجماهير"، وكان سبب تصنيف هذا الكتاب أنّ الرّشيد قال له يوما: كيف تصغّر الدّنيا؟ فقال: هي مُصَغّرة يا أمير المؤمنين؛ فقال له: "اعمل كتابا لعبد الله ومحمّد فإنّهما من أحوج الورى إليه؛ فعمله[90].

وذكر الأصمعي أنّه دخل على الرّشيد فقال: "...؛ فسلّمت عليه بالخلافة؛ فأشار إليّ بالجلوس؛ فجلستُ حتّى خفّ النّاس"، ثمّ قال: "يا أصمعي، ألا تحبّ أن ترى محمّدا وعبد الله ابنيّ؟" قلت: "بلى يا أمير المؤمنين، إنّي لأحب ذلك، وقد أردتُ القصد إليهما لأسلّم عليهما"، ثمّ قال الرّشيد: عليّ بمحمّد وعبد الله؛ فانطلق الرّسول فأقبلا...، ورَمَيَا ببصرهما الأرض حتّى وقفا على أبيهما؛ فسلّما عليه بالخلافة؛ فأومأ لهما؛ فجلس محمّد عن يمينه وعبد الله عن شماله، ثمّ أمرني بمطارحتهما الأدب؛ فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلاّ أجابا فيه وأصابا؛ فقال: "كيف ترى أدبهما؟" قلت: "يا أمير المؤمنين، ما رأيتُ مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما؛ فأطال الله بقاءهما، ورزق الأمّة رأفتهما؛ فضمّهما إلى صدره"[91].

في حين ظهرت معاملة الخليفة الحسنة للكسائي الّذي لم يكن له زوجة ولا جارية؛ فكتب إلى الرّشيد يشكو الغربة في أبيات مطلعها: "قُلْ لِلْخَلِيفَةِ مَا تَقُولُ لِمَنْ أَمْسَ إِلَيْكَ بِحُرْمَةِ يُدْلِي"؛ فأمر له الرّشيد بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء وبجميع آلاتها، وخادم وبِرْذَوْن بجميع آلاته[92]، وذُكر عن الكسائي أنّه قال: لمّا ولّاني الرّشيد تأديب ابنيه الأمين والمأمون كنت أشدّد عليهما في الأدب، وآخذهما أخْذًا شديدا خصوصا الأمين؛ فأتتني

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

ذات يوم خالصة أمة زبيدة فقالت: "إنّ السّيّدة تقرئُك السّلام، وتقول لك: "حاجتي أن تَرْفق بابني محمّد"؛ فقلت: قولي لها: "إنّ محمّدا مرشّح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التّقصير في حقّه،..."[93]، وكان علي بن المبارك الأحمر يؤدّب الأمين قال: "قعدْتُ معه ساعةً من نهارٍ؛ فوصل إليّ فيها ثلاثمائة ألف درهم"[94]، وشرب اليزيدي عند المأمون؛ فلمّا أخذتْ منه الكأس أقبل يعتزّ عليه بتعليمه إيّاه، وأساء مخاطبته؛ فلمّا أفاق من سُكْرِه عُرِّف ما جرى؛ فلبس أكفانه[95]، كما كان لبعض الشّيوخ معاملة لأولاد الخلفاء مشدّدة منها:

ما قاله أبو محمّد اليزيدي قال: "كنت أؤدّب المأمون، فأتيتُه يوما وهو داخل فوجّهتُ إليه بعض الخدم يُعْلمه بمكاني فأبطأ، ثمّ وجّهت لأبيه آخر فأبطأ، فقلت: "إنّ هذا الفتى ربّما تشاغل بالبطالة"؛ فقيل: "أجل"...؛ "فلمّا خرج أمرتُ بحمله؛ فضربتُه سبع دُرر"، قال: فإنّه ليدلّك عينيه من البكاء إذ قيل هذا جعفر بن يحي قد أقبل فأخذ منه منديلا؛ فمسح عينيه من البكاء، وجمع ثيابه، وقام إلى فرشه؛ فقعد متربّعا، ثمّ قال: "ليدخل" فدخل؛ فقمت عن المجلس، وخِفْتُ أن يشكوني إليه؛ فأقبل عليه بوجهه، وحدّثه حتّى أضحكه، ثمّ خرج؛ فجئت فقلت: "لقد خِفتُ أن تشكوني إلى جعفر"؛ فقال لي: "يا أبا محمّد، ما كنتُ أُطلع الرّشيد على هذه، فكيف بجعفر؟ إنّي أحتاج إلى أدب[96].

وقال الفرّاء: "ذُكرت للقعود مع المعتصم حيث نشأ، ولزمتُ نحوا من شهرين؛ فلمّا عُزم على ذلك جاء رجل يقال له أبو إيّاد؛ فطلب القعود معه، فسُئل ليَنْظر ما مقداره في العربيّة؛ فقيل له: "كيف تقول يا زيد أقبل؟"؛ فقال: "يا زيدُ أقبل"، قيل: "فما هذه الضّمّة؟" فقال: الواو التي في قوله، وأقبل، فارتُضَى، وأُقعد مع المعتصم فاستغنى، وأُزلتُ أنا...، وكان يُعجب بهذا، ويتعجّب منه، ويقول: "الدّنيا لا تأتي على استحقاق"[97].

وكان مع المعتصم غلام يتعلّم معه في الكتّاب؛ فمات الغلام؛ فقال له الرّشيد: "يا محمّد مات غلامك، قال: "نعم يا سيّدي، واستراح من الكُتّاب"، قال الرّشيد: "وإنّ الكُتّاب لَيَبْلُغ منك هذا المبلغ؟ دَعُوهُ إلى حيث انتهى، لا تعلّموه شيئا، وكان يكتب كتابا ضعيفا، ويقرأ قراءة ضعيفة[98]؛ بينما فسّر ابن عبد ربّه ذلك بما أو رده من رواية أنّ هارون الخليفة قال لابنه المعتصم: ما فعل وصيفُك فلان؟ قال: مات؛ فاستراح من

الكُتّاب، قال: وبَلَغَ منك الكُتَّاب هذا المبلغ، والله، لا حَضَرْته أبدًا، ووجّهه إلى البادية؛ فتعلّم الفصاحة، وكان أُمّيّا[99].

ولا نفهم منها رغبة الخليفة في تجهيل ابنه المعتصم؛ بل تغيّير مكان تعليمه لأنّ الكُتّاب محدّد الذّهاب إليه بوقت مع الالتزام، وهذا أراه قيدًا لحريّة هذا الولد، ونجد تأكيدًا لما ذهبت إليه عند التّوزري (من علماء ق6ه)"، وكان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب؛ لأنّه كان يقرأ في المكتب، وهو صغير؛ فمات له غلام كان يقرأ معه؛ فعزّاه أبوه هارون الرّشيد؛ فقال له: قد استراح من المكتب؛ ليتني كنت عوضًا عنه؛ فقال له أبوه: والله، لا دخلته أبدا بعد اليوم فخرج أميًّا"[100]، والدّليل أنّ إبراهيم بن العباس قال: "كان المعتصم إذا تكلّم بلّغ ما أراد، وزاد عليه[101].

وتذكر بعض المصادر ما كان من المعتصم مع الإسكافي، قال البلخي، أبو جعفر محمّد بن عبد الله الإسكافي السّمرقندي، وكان عجيب الشّأن في العلم والذّكاء والمعرفة وصيانة النّفس ونُبل الهمّة والنّزاهة عن الأدناس بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد من نظرائه، وكان المعتصم قد أُعجب به إعجابا شديدا؛ فقدّمه ووسّع عليه، وبلغني أنّه إذا تكلّم أُصْغِى إليه، وسكت مَنْ في المجلس؛ فلم ينطقوا بحرف، حتّى إذا فرغ نظر المعتصم إليهم، وقال: من يذهب عن هذا الكلام والبيان، وكان يقول له: "يا محمّد، اعرض هذا المذهب على الموالي فمن أَبَى منهم فعرّفني خبره لأفعل به وأفعل"[102].

وفي سنة 227ه/842م دخل هارون بن زياد مؤدّب الواثق بالله على الواثق بالله هارون (227-232ه/842-847م)؛ فأكرمه...؛ فقيل له: "مَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلْتَ به ما فعلت؟"، قال: "هذا أو ل من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله عزّ وجلّ"[103]، ولمّا أراد المتوكل أن يأمر باتّخاذ المؤدّبين لولديه المنتصر والمعتزّ جعل ذلك إلى إيتاخ كاتبه أن يتولّى ذلك؛ فبعث إلى الطّوّال والأحمر... وغيرهم؛ فأحضرهم مجلسه؛ فجاء أحمد بن عبيد؛ فقعد في آخر المجلس؛ فقال له من قرّب منه: "لو ارتفعتَ..."؛ فلمّا اجتمعوا قال لهم الكاتب: "لو تذاكرتم وقَفْنا على موضعكم من العلم فاخترنا؛ فألْقَوْا بينهم بيتًا لابن غفْلة: ذَرِينِي إِنَّمَا خَطَئِي وصَوْبِي- عَلَى وإِنَّما أَنْفَقْتُ مالُ...؛ فقالوا: "ارتفع مال..."، ثمّ سكتوا؛ فقال لهم أحمد من آخر النّاس: "هذا الإعراب، فما المعنى؟"؛ فأحجم

القوم؛ فقيل له: "ما المعنى عندك؟" قال: أراد مال ومكث إيّاي، وإنّما أنفقتُ مالا لم أنفق عرضا؛ فالمال لا أُلام على إنفاقه"؛ فجاءه خادم... فأخذ بيده، حتّى تخّطى به إلى أعلاه، وقال: ليس هذا موضعَك؛ فقال: لَأَكُون في مجلس أرتفعُ منه إلى أعلاه أحبّ إليّ من أن أكون في مجلس، ثمّ أُحَطُّ عنه، واخْتُير هو... وابن قادم[104]. وعن ابن السّكّيت قال ابن عبيد: شاورني في منادمة المتوكل؛ فنهيتُه؛ فحمل قولي على الحسد، وأجاب إلى ما دُعِيَ إليه...؛ فكانت نهايته...أن أمر الأتراك فداسوا بطنه؛ فحُمل إلى داره؛ فمات بعد غد ذلك اليوم، وكان ذلك سنة أربع وأربعين ومائتين"، ويقال: سنة أربعين ومائتين"[105].

خاتمة: يتبيّن أنّ خلفاء بني العباس اهتمّوا بتربية أولاد هم (إناثا، وذكورًا) لأكثر من اعتبار؛ فترقّبوهم بالرّعاية الأبويّة فطريًا، وألزموهم ضرورة تعلّم أمور الدّنيا والدّين؛ كون الذّكور سيصيرون إلى ولاية عهد فيما بعد، وتصبح لهم مسؤوليّة الإمامة والخلافة التي توجب عليهم تحقيق العدل وحماية الرّعيّة في حراسة الدّين؛ لذلك انتقَوْا لهم المؤدّبين والشّيوخ، ولم يمنعوهم من تعلّم فنون أخرى؛ فانعكس ذلك على واقع المجتمع العبّاسي.

الهوامش:

1- أبو بكر أحمد بن محمّد الهمذاني ابن الفقيه- مختصر كتاب البلدان- مطابع بريل- ليدن- 1302هـ- ص2.

2- جلال الدّين السّيوطي- تاريخ الخلفاء- خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد- دار البيان الحديثة- القاهرة- ط1- 1426هـ /2005م- ص208.----3- عبد الرّحمن بن زياد بن أنْعُم الإفريقي،الزّاهد، الواعظ؛ روى عن الحُبُلي، ليس قويّ الحديث. أنظر أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد العَكري الدّمشقي ابن العماد الحنبلي- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب- أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط- حقّقه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط- دار ابن كثير- دمشق- ط1- 1410هـ/1989م- م2 ص255/أبو خالد، يقال له: "أبو أيوب المعافري"، ثمّ "الشّعباني الإفريقي"، قاضي إفريقيّة، أو ل مولود ولد في الاسلام بالمغرب، من إفريقيّة. توفيّ سنة 156هـ/773م. أنظر محمّد بن مكرم إبن منظور- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر- تحقيق روحيّة النّحّاس- مراجعة محمّد مطيع الحافظ- الطّبعة الأو لى- دار الفكر- دمشق- 1404هـ/1984م- ج14 ص49/من الطبقة الخامسة، وكان النّوري يعظّمه، مات بالقيروان، في رمضان سنة إحدى وستين ومائة". أنظر محمّد بن أحمد بن أبي بكر الذّهبي- سيّر النّبلاء- ط11- أشرف على تحقيق وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط- حقّق هذا الجزء حسن الأحول- مؤسّسة الرّسالة- بيروت- ط11- 1417هـ/1996م-ج6 ص413.----4- السّيوطي- مصدر سابق- ص129----5- شهاب الدّين محمّد بن أحمد الأبشيهي- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، دار الفجر للتّراث، القاهرة، 2009م- ص35.

6- الأحمر النَّحَوي، شيخ العربيّة، علي بن المبارك، قيل:علي بن الحسن تلميذ الكسائي كان ذكيا، فرآى الكسائي يدخل ويخرج فلزمه إلى أن برع، فندبه لتعليم أولاد الرّشيد نيابة عن نفسه توفيّ الأحمر بطريق مكة سنة 194هـ/810م. أنظر الذّهبي- سيّر النّبلاء-ج9- ص93.

7- الكِسائي النّحوي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، يكنّي: بأبي عبد الله؛ أعجمي، من القرّاء السّبعة، كوفي وتنقّل في البلدان، وقرأ على ابن أبي ليلى الذّي يقرأ بحرف علي، من قرّاء مدينة السّلام، وكان أو لا يُقرئ النّاس بقراءة حمزة، ثمّ اختار قراءة،

فأقرأ بها النّاس في خلافة هارون؛ سُمّي الكسائي؛ لأنّه كان يحضر مجلس معاذ الهرّاء، والنّاس عليهم الحلّل، وعليه كساء روذباري، توفيّ برنبوية بالريّ(197ه/813م أو 199ه/815م) كتبه: معاني القرآن، وغيره. أنظر- محمّد بن اسحاق المعروف إسحاق أبي يعقوب الورّاق إبن النّديم- كتاب الفهرست- دار إحياء التّراث العربي- بيروت- ط1- 1427ه/2006م- ص32-72/ الكسائي... الأسدي، بالولاء الكوفي لم يكن له في الشّعر،والكسائي، بكسر الكاف؛ قيل له: الكسائي؛ لأنّه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزّيّات ، في كساء، فقال حمزة: من يقرأ؟، فقيل له: صاحب الكساء، وقيل: بل أحرم في كساء. أنظر- أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر إبن خلّكان- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان- تحقيق إحسان عبّاس- دار صادر- بيروت- ط1- 1414ه/1994م- ج3- ص297.

8- يحي بن المبارك اليزيدي: يُكنّي: أبا محمّد، اختُلف في اسمه(يحي، وعبد الرّحمن)، نسبة إلى يزيد بن منصور الحِمْيَري ت سنة 165ه/782م، كان يزيد خال المهدي، نُسِب إليه لصُحبته إيّاه، يؤدّب ولده، ثمّ أدّب المأمون. أنظر، إبن خلّكان: وفيات الأعيان - ج6 ص190/القاضي أبو المحاسن المفضّل بن محمّد بن مِسْعر التّنوخي المعرّي- تاريخ العلماء النّحويين من البصريين والكوفيّين وغيرهم- تحقيق الدّكتور عبد الفتاح محمّد الحلو- مكتبة مروان العطية- جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة- المملكة العربيّة السّعوديّة- 1401ه/1981م- ص114/أخذ النّحوعن أبي عمرو، يقول الشّعر ؛ أبو محمّد اليزيدي:أبو محمّد، يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي المعروف باليزيدي المقرئ، ثقة، أحد القرّاء العالمين بلغات العرب النّحو؛صدوقا، له تصانيف حسنة، شعره مدوّن، صنّف كتاب"نوادر"في اللّغة. أنظر-إبن خلّكان- مصدر سابق- ج6 ص183- 184/ابن النّديم- مصدر سابق- ص57.

9- سيبُوَيه، إمام النّحو؛ أبو بشر عمروبن عثمان بن قنبر الفارسي، ثمّ البصري طلب الفقه، الحديث، أقبل على العربيّة، وألّف فيها كتابه مات سنة 180ه/796م، قيل: 188ه/884م. أنظر- الذّهبي- المصدر السابق- ط11- أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الارناؤوط- حقّق هذا الجزء نذير حمدان- مؤسّسة الرّسالة- بيروت- ط11- 1417ه/1996م- ج8 ص352/مولى لبني الحارث ولد بقرية من قرى شيراز يقال لها: البيضاء، فلزم حلْقة حمّاد بن سلمة؛ اسم فارسي؛ فالسي: ثلاثون، وبَوَيه: رائحة، المعنى: ثلاثون رائحة. أنظر-المعّري-مصدر سابق-ص92وما بعدها/ كنيته: أبو الحسن، بالفارسيّة: رائحة التّفاح،أخذ النّحو عن خليل وغيره، اللّغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير، عمل كتابا لم يسبقه إليه أحد، قدم أيّام الرّشيد إلى العراق، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، توفيّ، وهوله نيف وأربعون سنة، بفارس، قيل: كان وروده العراق قاصدًا يحي بن خالد، فجمع بينه وبين الكسائي والأخفش، فناظراه، وخطّياه في مسائل، وحاكماه إلى فصحاء الأعراب وعاد إلى البصرة، ثمّ فارس، ومات بها سنة 179ه/795م، قال المازني: "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النّحوبعد كتاب سيبويه، فليستحي". أنظر- إبن النّديم-الفهرست-ص57.

10- أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي- مروج الذّهب ومعادن الجوهر- تقديم الدّكتور يوسف البقاعي- الطّبعة الأو لى- دار إحياء التّراث العربي- بيروت- لبنان- ج3، ص254.----11- محمّد محمّد محمود الغرباوي- من وصايا الخلفاء الأمويين والعباسيّين ومعاونيهم لمؤدّبي أولادهم- مجلّة كلّيّة اللّغة العربيّة بالزّقازيق- جامعة الأزهر، ع21- دار المنظومة، السّعودية- 2001 م-ص 304.

12- الوزير جمال الدّين بن يوسف القِفطي- أسّاس السّياسة- تحقيق خليل العطيّة- دار الطّليعة للطّباعة والنّشر- بيروت- ط1- رجب1429ه/ تموز2008م- ص106-107.----13- الأبشيهي- مصدر سابق- ص35- 37.----14- القِفطي- أساس السّياسة- ص107.---- 15- القِفطي- نفس المصدر- ص107-108.----16- القفطي- نفس المصدر-ص108.----17- نفسه.----18- أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد إبن الجوزي- المنتظم في تاريخ الملوك والأمّم- دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا- راجعه وصحّحه نعيم زوزور- دار الكتب العلميّة، بيروت- ط1- 1412ه/1992م- ج10 ص139- 140.----19- أبو الفرج ابن الجوزي- لفتة الكبد في نصيحة الولد نصح بها ولده أبا القاسم بدر الدّين علي المولود (551ه ت 630ه)- شرح وتحقيق أشرف عبد المقصود بن عبد الرّحيم- مكتبة الإمام البخاري- الإسماعيليّة، مصر- ط1- 1412هـ- ص35.----20- أحمد بن يحي بن جابر البلاذري- جُمل من أنساب الأشراف، حققّه وقدّم له أ.د سهيل زكّار والدّكتور رياض الزّركلي- دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع- بيروت- ط1- 1417ه/1996م-ج4- ص357.

21- مطيع بن إيّاس: من بني بكّار؛ من بني الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، الدّيل، وليث أخوان لأمّ، ولد بالكوفة طريفا خليعا حلوالمعاشرة مليح النّادرة ماجنا...متهما بالزّندقة يكنّي ب"أبا سلمى"، كان مطيع، ويحي بن زياد الحارثي، وابن المقفّع، ووالبة بن الحُباب يتنادمون، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال، ولا مُلك، مرميّين بالزّندقة. أنظر- أبو الفرج الأصفهاني- كتاب الأغاني- تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء- دار الثّقافة- بيروت- ط5- 1401ه/1981م- ج13 ص285 وبعدها.----22- الأصفهاني- نفس المصدر- ص289.---- 23- الأصفهاني- نفس المصدر- ص317.---- 24- الأصفهاني- نفس المصدر- ص318.----25- إبراهيم الموصلي أحمد بن

محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم، فارسي، وحسب إسحاق الموصلي: "جدُّنا ميمون هرب من جوْر بعض عمّال بني أميّة، فنزل الكوفة في بني عبد الله بن دارم"، وأمّه من بنات الدّهاقين الذين هربوا سنة 120هـ/738م بالكوفة، الموصلي لأنّه صحب صعاليكًا كانوا يسْبُون الطّريق ويصيبه معهم، فيشربون ويُغَنّون، فتعلّم الغناء، فكان أحذقهم- الأصفهاني- نفس المصدر-ج5- ص 142وما بعدها.----26- الأصفهاني-نفس المصدر- ص146.----27-الأصفهاني- نفس المصدر- ص147.----28-الأصفهاني- نفس المصدر-ص147- 148.

29- أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التّوزري من علماء القرن السّادس الهجري- الإكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 2009م- المجلّد الثّاني (أخبار خلفاء بني العباس)- ص109.

30- يعقوب الوزير الكبير الزّاهد بن طهمان الفارسي الكاتب، كان والده كاتبا للأمير نصر بن سيّار متولّي خراسان، فلمّا خرج يحي بن زيد بن علي، كان دأو د يناصح يحي سرًّا، وصار أخوه علي بن دأو د كاتبا لإبراهيم بن عبد الله بالبصرة فلمّا قُتل اختفوا مدّة، ثمّ ظفر المنصور بهما، فسجنهما، ثمّ استُخلف المهدي عليهما، وكان معهما في السّجن إسحاق بن الفضل، فلزماه، فعظّمه المهدي واختصّ به، فوَزَر له، وفوّض إليه أزِمّة الأمور. أنظر- الإمام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن أبي بكر الذّهبي (ت748هـ)- سيّر النّبلاء- ط11- أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط- حقّق هذا الجزء نذير حمدان- مؤسّسة الرّسالة- بيروت- لبنان- 1417هـ/1996م- ج8- ص 346- 347/ وفي 166 هـ/783م قبض المهدي على وزيره يعقوب؛ لكونه أعطاه هاشميًا من ولد فاطمة؛ ليقتله، فهرّبه، كان شيعيًا يميل إلى الزّيديّة، ويقرّبهم. أنظر- إبن العماد الحنبلي- شذرات- ج1- ص261 .

31- الإمام الحافظ عماد الدّين أبي الفدا ابن كثير القُرَشي الدّمشقي- البداية والنّهاية- راجعه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمّد تامر- شريف محمّد- محمّد عبد العظيم- محمّد سعيد محمّد- دار الوّعي للنّشر والطّبع والتّوزيع- الجزائر-ج5- ص526.----32- الأبشيهي- مصدر سابق- ص148.----33- الذّهبي- سيّر أعلام النّبلاء-ج8 ص347.----34- الذّهبي- نفس المصدر-ص348- 349.----35- الأبشيهي- المستطرف في كلّ فنّ مستظرف- ص149.----36- الأبشيهي- نفس المصدر- ص145.----37- القِفطي- أساس السّياسة- ص61.----38- الذّهبي- سيّر أعلام النّبلاء- ج8 ص64.----39- الحسين بن الضّحّاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة، باهلي صليبة، بصري المولد، والمنشأ، من شعراء الدّولة العباسيّة، جالس الأمين، شاعر أديب ظريف حسن التّصرّف في الشّعر، حلو المذهب، يلقّب بالخليع، حتّى تجاوز المائة؛ لمّا قدم المأمون من خراسان إلى بغداد أمَرَ بأن يسمّى له قوم من أهل التّأدب يجالسوه، فذُكر له جماعة فيهم الحسين، فقال: " لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبدًا إلّا في الطّريق". الأصفهاني-الأغاني-ج7-ص 145/ابن خلّكان- وفيات الأعيان- ج2-ص162وما بعدها.----40- الأصفهاني- الأغاني- ج7- ص220 .

41- إيتاخ، غلام طبّاخ لسلام الأبرش، فاشتراه منه المعتصم في سنة 199هـ/815م، فيه شجاعة، رفعه المعتصم والواثق، وضمّا إليه أعمالا، كان المعتصم إذا أراد قتل أحد، فبِيَد إيتاخ، ويحبس، وكان مع المتوكل في مرتبته، إليه الجيش والمغاربة. أنظر- ابن الأثير(الإمام العلامّة أبو الحسن، علي أبي الكريم بن عبد الواحد الشّيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقّب بعزّ الدّين- الكامل في التّاريخ-الطّبعة الثّالثة- دار الكتاب العربي- بيروت- 1400هـ/1980م-ج6 ص101.----42- عمروبن بحر الجاحظ- التّاج في أخلاق الملوك- تحقيق ونشر دار الفكر- بيروت لصاحبها إبراهيم الزّين1375هـ- دار البحار- بيروت- 1955م-ص225.----43- "اعلم أنّ المناظرة هي: النّظرة بالبصيرة من الجانبين في النّسبة بين الشّيئين؛ إظهارا للصّواب، ولكلّ من الجانبين وظائف وللمناظرة آداب. أنظر عصام الدّين أبو الخير أحمد مصطفى بن خليل طاشكبري زادة- رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة- تحقيق حايف النّبهان- ط1- دار الظّاهريّة للنّشر والتّوزيع- الكويت- 1433هـ/2012م- ص33.

44- يحي بن خالد البرمكي، وزير الرّشيد، جدّه، من مجوس بلخ، يخدم النّوبهار، فلمّا فتح المسلمون بلخ أسلم خالد، وساد وتقدّم في الدّولة؛ استوزره السّفّاح، ثمّ المنصور، وكان يحي ابنه نبيلاً، خلوقا، فضمّ إليه المهدي ولده الرّشيد، ثمّ صار كاتبه فنائبه، ووزيره قبل تولّيه الخلافة، قال له:"يا أبَتِ. أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك، ويُمْنِك، وحُسْن تدبيرك، وقد قلّدتُك الأمر، ودفع له خاتمه، فتولّى الوزارة، ونهض بأعباء الدّولة، وبعد نكبة البرامكة أدخله الرّشيد السّجن مات فيه سنة 190هـ/806م. أنظر- ابن خلّكان- وفيات- ج6- ص219 وما بعدها.----45- أبو بكر محمّد بن يحي الصّولي- أدب الكتّاب- نسخه وعنيّ بتصحيحه وتعليق حواشيه محمّد بهجة الأثَري ونظر فيه علاّمة العراق السّيد محمود شكري الألوسي- طبع في المكتبة العربيّة- بغداد- المطبعة السّلفيّة- القاهرة- مصر- 1431هـ - ج2- ص193.----46- عبد اللّطيف عادل- بلاغة الإقناع في المناظرة- الطّبعة الأو لى- دار الأمان- الرّباط- المغرب- 1434هـ/2013م- ص 16.----47- عبد اللّطيف عادل- نفس المرجع- ص130-137.----48- محمّد بن أحمد بن أبي بكر الذّهبي- سيّر

أعلام النّبلاء- أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط- حقّق هذا الجزء محمّد نعيم العرقسوسي- مؤسّسة الرّسالة- بيروت- ط11- 1417ه/1996م-ج10 ص50.---- 49- الأبشيهي- المستطرف-ص25.----50- طاشكبري زادة- رسالة الآداب - ص37.

51- كلير كرامش- اللّغة والثّقافة- ترجمة أحمد الشّيمي- مراجعة عبد الودود العمراني- الطّبعة الأو لى- منشورات وزارة الثّقافة والفنون والتّراث- إدارة البحوث والدّراسات الثّقافيّة- قطر- 2010م- ص 129.----52- السّيوطي- مصدر سابق- ص214.---53- ابن خلكان- وفيات-ج3-ص296/عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشّافعي العاصمي المكي- سَمْط النّجوم العَوالي في أنباء الأوائل والتّوالي- تحقيق وتعليق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود- الشّيخ علي محمّد معوّض-ط1- منشورات دار الكتب العلميّة- بيروت- لبنان- 1419ه/1998م - ج3 - ص149.----54- أبو هلال الحسن العسكري بن عبد الله بن سهل العسكري- جمهرة الأمثال- ضبطه وكتب هوامشه ونسّقه الدّكتور أحمد عبد السّلام- خرّج أحاديثه أبو هاجر محمّد سعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلميّة- بيروت- ط1- 1408ه/1988م- ص9- 10.

55- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم الكوفي قاضي القضاة، أو ل من دعي بذلك، تفقّه على الإمام أبي حنيفة، ونشر علمه، يحبّ أصحاب الحديث، روى عنه محمّد الشّيباني، وليّ القضاء للمهدي، وابنيه، قال عند وفاته: "كلّ ما أفتيتُ به، فقد رجعتُ عنه إلاّ ما وافق الكتاب، والسّنّة" توفيّ سنة(182ه/798م) حفظ التّفسير، والمغازي وأيّام العرب؛ جالس ابن أبي ليلى، ثمّ أبي حنيفة وخالفه، يقول دُبُرَ الصّلاة:" اللّهم اغفر لي، ولأبي حنيفة"، أو ل من صنّف في أصول الفقه، على أبي حنيفة، وأملى المسائل، ونشرها، ودُفن بمقابر قريش، بكرْخ بغداد، بقرب أمّ جعفر زبيدة. أنظر- ابن العماد الحنبلي- شذرات- م2 ص368 وما بعدها.

56- أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجّاجي- مجالس العلماء- تحقيق عبد السّلام محمّد هارون- ط3- مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع- القاهرة- 1420م-1999م- ص106.----57- السّيوطي- مصدر سابق- ص235.----58- كلير كرامش- اللّغة والثّقافة- ص15.----59- ابن خلّكان- وفيات- ج6- ص184.----60- الأبشيهي- المستطرف-ص 87.----61- ابن خلّكان- وفيات-ج3 ص296.---- 62- السّيوطي- مصدر سابق- ص236.----63- عمروبن بحر الجاحظ- البيان والتّبيّين- الطّبعة الأولى- دار إحياء التّراث العربي للطّباعة والنّشر- بيروت- لبنان- 1430ه/2009م-ج2- ص205.

64 - عُليّة، بنت المهدي: أمّها أمّ ولد، مغنّية، يقال لها: مكنونة، كانت من جواري المروانيّة المغنّية، كانت مكنونة جارية المروانيّة، وليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسن بن عبد الله بن عبّاس، مغنيّة، وكانت أحسن جارية بالمدينة وجها، أُشتريت للمهدي، فولدت له عُليّة بنت المهدي سنة160ه/777م، وتوفّيت سنة210ه/826م، ولها خمسين سنة، وصلّى عليها المأمون. أنظر، الأصفهاني:كتاب الأغاني، ج11، ص171-195؛ أنظر- عثماني أم الخير- الحياة الاجتماعيّة في العصر العبّاسي من خلال آثار"الجاحظ"132ه/750م-255ه/869م- جامعة الجزائر2- الجزائر- 1434ه -1435ه/2013م- 2014م- ص140 وما بعدها.

65- أنظر ابن عماد الحنبلي- شذرات، م2، ص53.

66- يعقوب بن إسحاق السِّكِيت، روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة، والفرّاء، من أهل اللّغة، كتبه:(إصلاح المنطق الألفاظ وغيره)، ولم يكن له في علم النّحو، يميل في اعتقاده إلى مذهب تقديم أمير المؤمنين علي، السّكيت بكسر السّين المهملة الكاف المشدّدة، ياء مثنّاة تحتها تاء مثنّاة، من فوقها، عُرف بذلك؛ لأنّه كان كثير السّكوت، كان يؤدّب مع أبيه بمدينة السّلام، في درب القنطرة صبيان العامّة، فاحتاج إلى الكسب، فتعلّم النّحو، ووفاته في رجب سنة (243ه/858م) توفيّ، وعمره 80عاما، من أهل الفضل، والدّين، والثّقة ترقّ إلى أن صار يؤدّب ولد المتوكل. أنظر ابن خلّكان- وفيات- ج6 ص396-401/المعرّي التنوخي- تاريخ العلماء النّحويّين-ص206/أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم- دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا- راجعه وصحّحه نعيم زوزور- الطّبعة الأولى- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1412ه/1992م- ج11- ص311-313.----67- السّيوطي- مصدر سابق-ص 262.

68- ابن المعتز، عبد الله بن المعتزّ بن المتوكل بن المعتصم بن الرّشيد بن المهدي، واحد دهره في الأدب والشّعر، وكان يقصده فصحاء الأعراب، ويأخذ عنهم، ولقيّ العلماء من النّحويّين والإخباريّين، كثير السّماع، غزير الرّواية. أنظر ابن النّديم- الفهرست- ص129.---- 69- ابن خلّكان- وفيات-ج6-ص399.----70- الأبشيهي- المستطرف- ص24.----71- الحسن بن سهل السّرخسي، وزير المأمون، وحمْوُه أبو محمّد الحسن بن سهل كان سمحا، جوادًا، ممّدحًا، وسرخس: مدينة من خراسان؛ موته لغلبة المرّة السّوداء؛ لحزنه على أخيه الفضل، حين قُتل معاصفة في الحمّام توفيّ سنة(236ه/ 851م) له سبعون عاما. أنظر-ابن العماد الحنبلي-شذرات-م3 –ص167.

72- جعفر بن شمس الخلافة مجد الملك - كتاب الآداب- عنيّ بتصحيحه وضبط ألفاظه وتفسيرها والدنا محمّد أمين الخانجي-ط2- مكتبة الخانجي- 1414هـ/1993م-ص61.----73- الفرّاء، أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء؛ مولى بني منقر ولد بالكوفة كان منقطعا إلى ابن سهل، فكتب إليه: أنّ الأمير حسن ربّما سألني عن الشّيء من القرآن...، فإن رأيتَ أن تجمع كتابا أرجع إليه" سبب إملائه الحدود، أنّ بعض أصحاب الكسائي سألوه أن يمل عليهم أبيات النّحوفعل...يجلس للنّاس في مسجده، يتفلسف؛ أكثر مقامه ببغداد، وفي آخر السّنة بالكوفة، يقيم بها أربعين يوما في أهله يفرّق بينهم، توفيّ بطريق مكة سنة (207هـ/ 823م)، كتبه:معاني القرآن ألّفه لابن طاهر، وغيره. أنظر- ابن النّديم- الفهرست-ص73-74/له كتب في العربيّة يقال لها:" الحدود"، يقال: أنّه يوما لحن بين يدَيْ الرّشيد، فقال: طباع أهل البدو اللّحن، وطباع العرب الإعراب، وإذا تحفّظتُ لم أَلْحَنْ، وإذا تكلّمتُ مُرْسِلاً رجعت إلى الطّباع فاستحسنه، وابتدأ بإملاء "كتابه في القرآن" سنة (203هـ/819م)، كان يُملِي منه في يومين كلّ أسبوع، وفرغ منه سنة(205هـ/821م). أنظر-المعرّي- مصدر سابق- ص187-188.----74- الزّجاجي- مجالس العلماء-ص10.

75- خير الله سعيد- موسوعة الورّاقة والورّاقين في الحضارة العربيّة الإسلاميّة- الطّبعة الأو لى- مؤسّسة الإنتشار العربي- بيروت- لبنان- 2011م-م1-ج1 ص115 .----76- الزّجاجي- مصدر سابق- ص30.----77- جعفر بن شمس الخلافة مجد الملك- كتاب الآداب- ص2.----78- ابن النّديم- الفهرست- ص72.----79- أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي- المنتظم في تاريخ الملوك والأمّم- دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا- راجعه وصحّحه نعيم زوزور- الطّبعة الأولى- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1412هـ/1992م- ج12- ص99 .----80- شَريك بن عبد الله العلاّمة الحافظ قاضي الكوفة أبو عبد الله النّخعي، من كبار الفقهاء ولد في 95هـ/714م ببخارى أو نُقل إلى الكوفة، عاش 82سنة ت(187هـ/803م أو 188هـ/804م)، بالكوفة. أنظر- الذّهبي- مصدر سابق-ج8-ص202 وما بعدها.----81- السّيوطي- مصدر سابق- ص219.---- 82- الذّهبي- سيّر أعلام النّبلاء-ج8-- ص207.---- 83- الذّهبي- نفس المصدر-ص63- 64. ----84- الذّهبي- نفس المصدر-ص55.----85- الذّهبي- نفس المصدر-ص62- 63.----86- السّيوطي- تاريخ الخلفاء- ص288.---87- أبو معأو ية الضّرير، محمّد بن خازم مولى بني سعد بن زيد بن مَناة بن تميم الحافظ الحجّة أبو معاوية السّعدي الكوفي الضّرير أحد الأعلام ولد سنة 113هـ/731م، وعمّي وهو ابن أربع سنين سنة 73، وكان هارون الرشيد يُجلّه ويحترمه مات سنة 194هـ/810م. أنظر الذّهبي- سيّر أعلام النبلاء- ج9 ص73-77.----88- السّيوطي- نفس المصدر- ص222.

89- قُطْرُب، يقول المثل: أشهر من قُطْرُب:عن أبي عمرو أنّه دويبة لا تنام اللّيل؛ أي إنّما يقطعه سيرًا. أنظر- العلاّمة الأديب أبو القاسم جار اللّه محمّد بن عمر الزّمخشري- المستقصَى في أمثال العرب-ط2- منشورات محمّد علي بيضون- دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م- م1 ص175.----90- المعّري- تاريخ العلماء النّحويّين- ص83-84.----91- العاصمي المكي- سمط النجوم-ج3- ص436.----92- ابن خلّكان- وفيات-ج3- ص295.----93- العاصمي المكي- سمط النّجوم-ج3- ص436.----94- المعرّي- مصدر سابق- ص187.----95- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني- زهر الآداب وثمر الألباب- شرحه ووضع فهارسه علي محمّد البجاوي وعارضه بمخطوطات القاهرة وحقّقه عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطّبعة الثّانيّة- 1389هـ/1969م-ج1-ص 448.

96- السّيوطي- تاريخ الخلفاء- ص241.----97- الزّجاجي-مجالس العلماء-ص50.----98- ابن الجوزي-المنتظم-ج11-ص 27.

99- أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي- العقد الفريد-تحقيق الدّكتور مفيد محمّد قميحة- الطّبعة الأولى- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1404هـ-1983م- ج2 ص275.----100- ابن الكردبوس التّوزري- الإكتفاء في أخبار الخلفاء-ج2 ص259/روى الصّولي عن محمد بن سعيد قال: كان المعتصم غلاّم في الكتّاب يتعلّم منه، فمات،...قال: فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة... المعتصم بالله أبو إسحاق محمّد بن الرّشيد(218هـ/227هـ-833م/842م) ولد سنة 180هـ/796م) أمّه أمّ ولد من مولّدات الكوفة "ماردة"، من أحظى النّاس عند الرّشيد، كان ذو شجاعة وقوّة، وهمّة، وعَرِيًّا من العلم. أنظر- السّيوطي-تاريخ الخلفاء- ص 253.

101- السّيوطي-نفس المصدر-ص255.----102- ابن النّديم- الفهرست-ص2213.----103- أبو الفرج عبد الرّحمن بن علي بن محمّد ابن الجوزي- المنتظم في تاريخ الملوك والأمّم- دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا- راجعه وصحّحه نعيم زوزور- الطّبعة الأولى- دار الكتب العلميّة- بيروت- 1412هـ/1992م- ج11 ص121/السّيوطي- تاريخ الخلفاء- ص259.----104- ابن النّديم- الفهرست- ص79- 80.----105- المعرّي- مصدر سابق- ص202/في 244هـ/859م قتل المتوكل ابن السّكيت...، فنظر المتوكل إلى المعتز والمؤيّد فقال له: "مَن أحبّ إليك هما أو الحسن والحسين؟، فقال: "قنبر؛ يعني مولى علي خير منهما"، فأمر الأتراك، فداسوا بطنه حتّى مات، وقيل: أمر بسلّ لسانه فمات، وأرسل إلى ابنه بديّته، وكان يعقوب رافضيًا. أنظر- السّيوطي- تاريخ الخلفاء-ص 262.